

شرح العقيدة الطحاوية

الدرس التاسع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد...

فمعنا اليوم درس جديد من دروس شرح العقيدة الطحاوية؛ وهو الدرس التاسع .

وقفنا في كلام المؤلف عند قوله: **(وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ**
المرتضى)

قدم المؤلف رحمه الله تعالى القول في هذه العقيدة في أنواع التوحيد الثلاثة؛ فذكر ما يتعلق بالألوهية وبالربوبية وبالأسماء والصفات، ومن ذلك بعض مسائل القدر، فذكر المؤلف رحمه الله تعالى الشهادة؛ شهادة أن لا إله إلا الله وما يتعلق بها، ثم بدأ الآن بذكر نبينا محمد ﷺ وما نعتقه فيه، وهذا ما يتعلق بالشرط الثاني من الشهادة؛ وهي شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

قوله: **(وَإِنَّ مُحَمَّدًا)** هذا اسم النبي ﷺ؛ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

و(محمد) هو أشهر أسمائه، لكن أسماء ﷺ أكثر من واحد؛ فقد جاء في حديث جبير بن مطعم في "الصحيحين": أن رسول الله ﷺ قال: "لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ".

وفي رواية عند مسلم: "وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ" والحديث أصله متفق عليه.

(محمد): بمعنى المحمود مع المبالغة؛ أي: الذي حُمِدَ مرة بعد مرة وتكاملت فيه الخِصال الحمودة.

(أحمد): وهو الاسم الثاني؛ أفعل تفضيل من الحمد؛ ومعناه: أحمد الحامدين لربه؛ أي: أكثرهم له حمداً، وأعظمهم في صفة الحمد التي هي ضدُّ الذم وقريبة من معنى المدح.

(المأحى): فُسر هذا الاسم في الحديث؛ قال: "الذي يمحو الله به الكفر" أي يُزيله، لعله يُريد زوال الكفر من الأرض التي وصلها الإسلام التي زُوِيَتْ للنبي ﷺ، أو من حيث شاء الله تبارك وتعالى.

(الحاشر): كذلك جاء في الحديث تفسيره؛ قال: "الذي يُحْشَرُ الناس على قدمي"، وفي رواية: "على عَقْبِي" أي بعدي؛ يعني يُحْشَرُ الخلق يوم القيامة على أثره؛ أي: أنه ليس بينه وبين القيامة نبي آخر ولا أمة أخرى ولا شريعة تنسخ شريعته كما نَسَخَتْ شريعته سائر الشرائع.

و (العاقب) الذي ليس بعده نبي؛ أي: أنه آخر الأنبياء وخاتمهم.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري؛ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَقِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ».

(المُقَقِّي) المتَّبِعُ للأنبياء قبله؛ يُقال: قَقَوْتُه وَقَقَيْتُهُ؛ أي: اتبعته.

و(نبي التوبة) أي: أنه جاء بالتوبة.

وتختلف عن توبة من سبق، ومن أوجه الاختلاف: أن توبة السابقين تُقبل بقتل أنفسهم كما جاء في توبة بني إسرائيل، وهذا ليس في أمة محمد ﷺ، وذكر العلماء بعض الفروق بين التوبة التي جاء بها النبي ﷺ والتوبة التي كانت تُقبل في الأمم الماضية. و(نبي الرحمة) أي: أنه جاء بالتراحم، وهو مبعوث رحمة للعالمين؛ قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧].

هذه مجموعة من الأسماء ثابتة للنبي ﷺ، وقال أهل العلم بأن أسماء النبي ﷺ أعلام وأوصاف أيضاً؛ فاسمه مثلاً (محمد) علم، وصفة يدل على كثرة محامده، وكثرة الخصال الحميدة فيه، تكاملت فيه الخصال المحمودة التي تليق به ﷺ كبشر ورسول.

قوله: (وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى)

(عَبْدُهُ) فيجب أن نشهد بأن النبي ﷺ عبد لله كما قال الله سبحانه وتعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء: ١]، في أشرف المقامات وأعظمها وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه عبد؛ لأن هذا مقام تشريف في حقه ﷺ أن يكون عبداً لله، {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} [البقرة: ٢٣]، {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ} [الفرقان: ١]؛ يذكره في مقامات التشريف والتعظيم أنه عبد لله تبارك وتعالى.

فنحن نشهد للنبي ﷺ بهذه العبودية، وهذا شرف لبنينا ﷺ أن يكون عبداً لله، وفي هذا نفي للغلو فيه؛ بهذه الشهادة نفي الغلو فيه ﷺ؛ فلا يرتفع عن مقام العبودية إلى مقام الألوهية أو الربوبية؛ بل هو عبد؛ نشهد بهذا.

(الْمُصْطَفَى) أي: المختار، والاختيار والاصطفاء: طلب خير الشيين.

قوله: (وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى) لاحظ أنه تقدم وصف العبودية، ثم الآن جاء وصف النبوة، فهو نبيٌّ مُنْبَأٌ بالوحي؛ {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالتَّيِّينِ مِنْ بَعْدِهِ} [النساء: ١٦٣].

وما معنى النبي؟ وهل هناك فرق بين النبي والرسول؟

سيأتي بيان هذا إن شاء الله.

الاجتباء: قريب من معنى الاصطفاء، فالاجتباء والاصطفاء والارتضاء؛ كلها قريبة من بعضها في المعنى؛ هو مُختار؛ اختاره الله من بين خلقه.

قال: (وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى) فهو نبي ورسول أيضاً؛ مُرتضى ارتضاه الله سبحانه وتعالى {إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} [الجن: ٢٧].

فإذن ذكر المؤلف وصفه بالنبوة وبالرسالة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه في أكثر من موضع: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} يصفه بالنبوة، و{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} يصفه بالرسالة؛ فهو نبي ورسول، كما قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: ١٥٨]، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ} [سبا: ٢٨]؛ فهو مُرسل إلى الناس كافة؛ فهو رسول وهو نبي.

ما الفرق بين الرسول والنبي؟

عرفنا معنى الاصطفاء والاجتباء والارتضاء؛ فما الفرق بين نبي ورسول؟

أولاً: بعض أهل العلم ذهب إلى أنه لا فرق بين النبي والرسول، وهذا القول خطأ؛ بل الفرق ثابت، وقد حَقَّق القول في هذه المسألة بكلام طيِّب في إثبات الفرق بين النبي والرسول الشيخ المُحدِّث الألباني رحمه الله في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (المجلد السادس - القسم الأول) عند كلامه على الحديث رقم (٢٦٦٨): "كان آدم نبياً مُكَلِّماً، كان بينه وبين نوح عشرة قرون، وكانت الرسل ثلاثمئة وخمسة عشر".

جاء في بعض الأحاديث أن الأنبياء يعدون بعشرات الآلاف؛ يزيدون عن مائة ألف، وأن الرسل بهذا العدد الذي ذكرنا في هذا الحديث- هذا في بعض الأحاديث-، وهنا تحدث الشيخ الألباني رحمه الله عن الفرق بين النبي والرسول، واستدل بهذا؛ بالأحاديث التي فرقت بين عدد الأنبياء وعدد الرسل، وكذلك استدل بقول الله تبارك وتعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} [الحج: ٥٢]؛ هنا فرّق بينهما.

والشائع عند العلماء: أن النبي أعم من الرسول؛ فالرسول هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ؛ هذا الفرق هو المشهور عند كثير من أهل العلم.

بعضهم قال: النبي لم يؤمر بالتبليغ والرسول مأمور بالتبليغ؛ هذا فرق عند الكثيرين؛ وهذا القول ضعيف؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال في هذه الآية {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} أنه أرسل النبي، والإرسال يقتضي البلاغ، والوحي ينزل ليبلغ لا ليكنتم.

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ" إذن الأنبياء يُبَلِّغُونَ؛ فيستجيب أقوام ويمتنع أقوام.

والأقرب في الفرق بينهما: أن الرسول من أوحى إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله؛ هذا أصح عندي. والله أعلم.

طبعاً أوصل البعض الأقوال في هذه المسألة إلى ستة أقوال؛ في الفرق بين الرسول والنبي، ولا نريد أن نُطيل في ذكرها؛ فالخلاف معروف بين أهل العلم في هذه المسألة.

قال المؤلف: **(وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)**

(وَأَنَّهُ) أي: النبي ﷺ محمد الذي حُتِمَ به الأنبياء؛ فلا نبي بعده.

(خاتم الأنبياء) يعني: آخرهم ولا يأتي بعده نبي.

(وإمام الأتقياء) التقي: الذي يفعل أوامر الله ويحْتَنِبُ نواهيه؛ فهذا يُتَّقَى عذاب الله سبحانه وتعالى، والنبي ﷺ إمامهم.

(وسيد المرسلين) هو سَيِّدُ النَّاسِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ وغيرهم؛ قال النبي ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ".

إذن هو خاتم الأنبياء كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠]، وقال تبارك وتعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [آل عمران: ١٤٤]؛ فجميع الرسل والأنبياء قد مضوا قبله؛ فلا نبي ولا رسول بعده ﷺ.

وكذلك ما تقدّم من معاني أسماء النبي ﷺ، ذكرنا من الأسماء (العاقب) الذي ليس بعده نبي، وجاء في الحديث في "الصحيح" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي".

وقد قال أهل العلم بأنّ هذه المسألة؛ أنه لا نبي بعد النبي محمد ﷺ ولا رسول بعده؛ هذه مسألة من المعلوم من الدين بالضرورة، حتى عامة الناس يعرفون هذا، ومن شكّ في أنه ﷺ خاتم النبيين؛ فهو كافر، هذا بالنسبة لمن شكّ في هذا؛ فكيف بمن ادّعى النبوة أو صدّق من يدّعي النبوة؛ فهو كافر أيضاً.

إذن من ضمن شهادة أنّ محمداً رسول الله: أن نشهد أنّه خاتم الأنبياء وخاتم الرسل.

كذلك لا بُدَّ أن نشهد أنّه مرسل للناس كافة؛ يعني من يقول أنّ محمداً ﷺ مرسل للعرب فقط؛ لا يكفي منه ولا يُعتبر مؤمناً بهذا، لا، حتى يشهد بعموم وشمول رسالة النبي ﷺ للناس كافة؛ للإنس والجن: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}

[الأعراف: ١٥٨]، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ} [سبأ: ٢٨]، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"، وقال عليه الصلاة والسلام: "لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي".

فمن زعم اليوم أن اليهود والنصارى أو أي أحد من الناس يَسْعُهُ أن يخرج عن شريعة محمد ﷺ؛ فهو كافر، ومن جوَّزَ لأحد أن يكون على غير دين الإسلام؛ فهو كافر مُكذِّب بهذا الذي ذكرناه كله، حتى عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان يحكم بشريعة محمد ﷺ.

وشريعته ﷺ لازمة لجميع البشر، ولا يَسْعُ أحد الخروج عن شريعته ﷺ.

قوله: (وإمام الأتقياء) فالنبي ﷺ إمامهم، والإمام: هو القدوة في الخير؛ فهم يَتَقَدُّونَ به.

قوله: (وسيد المرسلين) أي أفضلهم، ودليله تقدّم: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرٌ".

قوله: (وحبيب رب العالمين) بمعنى أنه محبوب لله تبارك وتعالى؛ لكن هذه المحبة ليست خصوصية للنبي ﷺ؛ فمحبة الله تكون للأنبياء والرسل والصالحين والأتقياء والمحسنين كما جاء في كتاب الله في غير موطن كقوله تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: ٤]، وقوله تبارك وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥]، وغير ذلك.

وكما ذكرنا فالمحبة ليس فيها خصوصية للنبي ﷺ، لكن الخصوصية في ماذا؟

الخصوصية في الخلَّة، والخلَّة أعلى مراتب المحبة، والخلَّة هذه من خصائص النبي ﷺ مع إبراهيم عليه السلام كما قال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ"، وقال: "إِنَّ

اللَّهُ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا؛ فإبراهيم ومحمد خليل الله تبارك وتعالى، هذه هي الخصوصية؛ فالأفضل أن يُقال: (وخليل رب العالمين تبارك وتعالى).

قال المؤلف: **(وَكُلُّ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بَعْدَهُ؛ فَغَيٍّ وَهَوَى)**

هذا لما قَدَّمنا: أنه خاتم الرسل، فأى أحد يأتي ويدَّعي النبوة أو الرسالة من بعده؛ فدعواه باطلة.

(الغَيِّ) ضد الرشد، و**(الهوى)** ضد الهدى؛ فادعاء النبوة بعد مبعثه ﷺ: هو اتباع للهوى والضلal؛ كما قال الله تبارك وتعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [الأنعام: ٩٣] من أظلم من هذا؟!

وكما جاء في الحديث كما قَدَّمنا بأنه سيأتي أناس ويَزْعُمون ويدَّعون أنهم أنبياء وحصل هذا حتى في زمن النبي ﷺ؛ مثل مُسيلمة الكذاب والأسود العنسي وسجاح وغيرهم بعد ذلك؛ وهذا كله كذب وضلal وكفر.

قال: **(وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى؛ بِالْحَقِّ وَالْهُدَى، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ)**

النبي ﷺ مبعوث إلى (عامَّة الجنِّ)، وإلى (كافة الورى) أي كافة الناس، فهو مرسل إلى الجن والإنس.

أما الناس؛ ففي قوله تبارك وتعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: ١٥٨]، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ} [سبا: ٢٨].

وأما الجن؛ فجاء في آيات أنه مُرسل إليهم؛ من ذلك سورة الجن: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا} [الجن: ١].

فالنبي ﷺ مرسل إلى هؤلاء وإلى هؤلاء؛ إلى الجن والإنس.

والجن موجودون، وذكُرهم في القرآن، في غير ما آية؛ بل سورة كاملة اسمها سورة الجن، هم عالم غيبي، مُكَلَّفون، في القرآن والسنة ذكُرهم كثير، ومن يُنكِر وجود الجن يَكفر.

وقوله: **(بالحق والهدى وبالنور والضياء)** أي: النبي ﷺ مُرسل بالحق والهدى والنور والضياء؛ كل بمعنى واحد:

الحق ضد الباطل، الهدى ضد الضلال، النور والضياء، المعنى قريب من بعضه، {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} [التوبة: ٣٣] بالعلم النافع والعمل الصالح.

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [البقرة: ١١٩]؛ بالحق، كل ما جاء في الكتاب والسنة فهو حق، والقرآن والسنة نور وضياء تضيء للإنسان الظُلْمة وتهديه من الضلال الذي يعيشه، هذا وصف لشريعة الله تبارك وتعالى التي جاءت في الكتاب والسنة، والتي جاء بها النبي ﷺ؛ فكل ما فيها حق وليس فيها شيء من الباطل، وهي نور وهداية للناس تُخرجهم من ظلمات الكفر ومن ظلمات الضلال إلى نور الهدى ونور الحق؛ المشي في الطريق الصحيح السليم هداية، هذه الأوصاف كلها تؤمن بها في حق نبينا ﷺ.

والناس في النبي ﷺ على ثلاثة أقسام:

من يَغْلُو فيه ويجعل فيه بعض خصائص الألوهية أو الربوبية.

ومنهم من يَقْصِر في حقه؛ ومن هؤلاء المقصرين في حقه: المكذِّبون له.

والاعتدال في ذلك: هو تصديقه فيما جاء به من عند الله تبارك وتعالى، وَتَتَّبِعْهُ وَنُطِيعْهُ ونلتزم بالشريعة التي جاء بها، وَنَعْتَقِدُ أَنَّهُ عبد ورسول لله تبارك وتعالى. والله أعلم.

نكتفي بهذا القدر. والحمد لله.